مستقبل العربية ومؤازرة فرضية اللغة المؤَّحدة

د. سليم عبد الزهرة محسن الجصاني

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أعزَّ العربية بالقرآن الكريم، والصلاة والسلام على خير من نطق العربية فرفع شأنها سيد الكائنات النبي العظيم محمد بن عبد الله وعلى اله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

جاء البحث الموسوم بـ(مستقبل العربية ومؤازرة فرضية اللغة الموحدة) لتقديم رؤية عن مستقبل اللغة على نحو الفرض وليس التطبيق وإمكانية تحققها مع رُقي العقل البشري وتطلعه إلى لغة موحَدة وموحِدة تعالج طائفة من المشكلات التي تؤثر سلبا على تقدم البشرية وتوحدها، وقد قسم البحث على النحو الآتي:

- تمهيد: يوضح المصطلحات الرئيسة في البحث.

- المبحث الأول: طبيعة اللغات في العالم وكيفية تطورها مع تبيان علاقة اللغة باللهجات في نموها وتطورها وانشطارها المستمر فضلا عن وظائف اللغات ليكون الفصل مقدمة لفهم العربية وخصوصيتها.

- المبحث الثاني: طبيعة اللغة العربية التي تقسم إلى قسمين الأول منهما يعرض للغة العربية قبل مجي الإسلام والآخر بعده.

فضلا عن تبيان اثر القران الكريم في تطور هذه اللغة وغلبتها على باقي اللغات في شكلها ومضمونها.

توصيات لمؤازرة الفرضية بدعمها وتقديم الاقتراحات لها بما يسهم على نحو فاعل في تصاعد مكانتها بين اللغات.

الخاتمة: تقدم نتائج البحث والتوصيات مع إمكانية أن تكون اللغة العربية هي لغة المستقبل على نحو الفرض مع صعوبة التطبيق وذلك لقوتها ولوجود مقومات البقاء والديمومة دون انشطار أو تآكل كما هو شأن باقي اللغات وكما أثبته ماضيها الذي يعيش في حاضرها.

ثبت المصادر الذي اعتمد كتب فقه اللغة وعلم اللغة وكتب علوم العربية والبحوث والدوريات فضلا عن المواقع العلمية الالكترونية التي تعنى باللغات ومصادر اللغات الأجنبية.

تمهيد: المستقبل ووحدة اللغة

تروم الدراسة تقديم رؤية مستقبلية تهدف إلى وحدة اللغة من أجل عدم تشتت الجهد والهدر في الوقت والمال الذي يسببه عدم الركون إلى لغة عالمية موحدة، وقراءة المستقبل أو التمني له من أهم علوم العصر، وهو (ما يطلق عليه علم المستقبلfuturology الذي اخذ ينمو وينتشر بعد الحرب العالمية الثانية بخاصة، وأصبح يتميز بصفته العلمية وأسلوبه المنطقي الاختباري على ان هذا العلم لم يظهر في عالم العلوم فجأة، وإنما جاء ليرث ميراثاً طويلا من تاريخ البشرية) (١).

وتوحيد اللغة يعدّ ضرورة اجتماعية على نحو ما يراه الدارسون للغات (فلولا مقاومة المجتمع للتفكك اللغوي لأصبح العالم أمام حشد من صور التكلم التي لاتزيدها الأيام إلا تفرقاً، ولكن الذين يتكلمون أحدى اللغات يميلون دائما إلى المحافظة عليها كما هي) (٢)، ويضاف إلى ذلك ما زاد في دافعية متكلمي العربية انها أصبحت لغة القران بما يحمله من اثر في العبادات فضلا عمّا يحمله من مستوى استعمالي إعجازي للغة.

المبحث الأول: طبيعة اللغات

يختلف الراصدون لعدد اللغات في العالم في وضع رقم دقيق لها، فبعضهم يشير إلى ما يقارب خمسة آلاف لغة ويذهب آخرون إلى وضع أرقام متعددة تنقل من ثلاثة آلاف إلى عشرة آلاف

لغة(٣)، ويترك آخرون الحديث عن عددها بسبب كثرتها التي لم تتوافر إحصائية دقيقة عنها، إذ ورد ان عدد لغات غينيا وحدها(١١٠٩) لغة وعدد لغات جزر اندونيسيا وماليزيا هي(١٥٠٠) لغة، فضلا عن انعزال كثير من اللغات وعدم الوصول إلى معرفتها ودراستها(٤)، مما يبين ضعفا فيها وعدم إمكانية ظهورها ضمن الدراسات.

وتصنف اللغة العربية بالمرتبة السابعة ضمن لغات العالم وفقا للمتحدثين بها(٥)، ويعدها آخرون وفقا لاستقراء وإحصائيات حديثة بالمرتبة الرابعة بنسبة ٣،٢٥٪ بعد الماندرين الصينية التي يمثل استعمالها نسبة ١٢،٤٤٪ والاسبانية ٤،٨٥٪ والانكليزية ٤،٨٣٪ تليها الهندية بالمرتبة الخامسة فالبنغالية والبرتغالية لتتدرج جميعها في قائمة لغات تطول(٦).

ولا تتطابق حدود الدولة مع حدود اللغة في أماكن العالم المختلفة على نحو ملحوظ فخارطة السياسة ليست هي نفسها خارطة اللغة وعادة ما تكون الحدود اللغوية أقدم من حدود الدولة(٧)، ولما ورد شواهد كثيرة منها اللغة الألمانية التي يتُحدث بها في المانيا وسويسرا والنمسا وايطاليا وجنوب سيبيريا من روسيا، وكذلك الفرنسية والانكليزية وغيرها من اللغات.

وتخضع جميع هذه اللغات لسنن تتفق في خطها العام وتختلف في جزئياتها وهي متطورة على نحو مستمر في إطار الزمان والمكان(٨)، وهي على نحو ما وصفها علماء اللغة في كونها كائنا حيًّا يلد اللهجات التي تنمو لتصير فيما بعد لغات مستقلة بذاتها تتزاوج مع اللغات الأخرى وتنجب لهجات تصير فيما بعد لغات تنتمي إلى مشجرات كمشجرات العشائر والقبائل إذ تجمعها خصوصيات وسمات مشتركة وبسبب هذه المشتركات جاءت تقسيمات الفصائل على فصيلتين أحداهما الهندية الأوربية والأخرى الحامية السامية وفي تقسيمات أخرى أضافوا إليها الفصيلة الطورانية فيما أورده ماكس مولر(Max Moller) إذ قسم اللغات إلى ثلاث فصائل تندرج عنها مجاميع لغوية والفصائل هي الهندواوربية والطورانية وفصيلة اللغات الحامية- السامية التي تنتمي لها اللغة العربية، فضلا عن تقسيم شليجل في تقسيمه إلى لغات غير متصرفة أو عازلة ولغات لصقية أو وصلية ولغات متصرفة أو تحليلية تنتمي إليها العربية، وغيرها من التفصيلات التي يعنى بها دارسوها(٩)، وربما تموت لغة ما دون إنجاب لموت المتكلمين بها على نحو أو آخر أو تراجعها أمام لغات أخرى كاللغات الاميركو هندية التي اضمحلت واختفى كثير منها في القارة الأمريكية واللغات الكلتيَّة في الجزر البريطانية التي أخذت بالاختفاء(١٠).

ووصف اللغات كونها كائنا حيًّا يعود للأسباب المذكورة من خضوعها لهذه السنن ومثال لها اللغة الفرنسية التي تكوّنت من لغات السكان الأصليين لوسط أوربا وبقايا الرومانية ولغات القبائل الجيرمنية التي كانت تغزو قلب أوربا بين الفينة والفينة مما أدى إلى نشوء الفرنسية المشتركة (فأهمية باريس السياسية والمنطقة الباريسية تفسر لنا بدرجة كبيرة انتشار لهجة الإيل دي فرانس l.lle de france أي الفرنسية في الأقاليم المجاورة وذلك بانضمام هذه الأقاليم إلى المملكة... وفرنسية الإيل دي فرانس لم تمتد فحسب على اللهجات التي تشترك معها في أسرة واحدة، أي اللهجات المشتقة مثلها من اللاتينية، بل اتخذت أيضا لغات مشتركة لدى الفلمنكيين والبريتانيين، مع لغتيهما الطبيعيتين من أصل جيرماني أو كلتي...)(١١).

وهو شأن اللغة الانكليزية التي نشأة منها لهجات أمريكية واسترالية وهندية وغيرها؛ ولم تستطع الانكليزية بعد انفصال الجزيرة البريطانية عن فرنسا ان تحافظ على شخصيتها على الرغم من اعتمادها في تدريس قواعدها على نحو معياري فيما يصطلح عليه بالانكليزية القديمة Traditional English ، وسرعان ما ظهرت مرحلة أخرى أعقبت المرحلة المذكورة وهي البنيوية Structuralism لفردينان دي سوسر ثم النحو التحويلي التوليديT.G.G Transformation generative grammar لنوم افرام جومسكي، ولم تستطع الانكليزية الحفاظ على بقائها على الرغم من اعتمادها على النحو اللاتيني لتسير على وفق سنن اللغات في التغيير ودارت دراستها ثانية من المعيارية إلى الوصفية بعد ان ابتدأت وصفية شأنها شأن كل اللغات.

فضلا عن نشوء لهجات ضمن